International Journal of Educational Sciences and Arts (IJESA)
Vol. (3), No. (6)
IJESA
June 2024
المجلة الدولية للعلوم التربوية والآداب
الإصدار (3)، العدد (6)

الحجاج بالعواطف في شعر ابن زيدون، قصيدة: لَئِن قَصَّرَ اليَأسُ مِنكِ الأَمَل ﷺ وَحالَ تَجَنّيكِ دونَ الحِيَل "أنموذجاً"

سيد المختار محمد الأمين البشير
أستاذ مساعد، جامعة المحظرة الشنقيطية الكبرى، موريتانيا - أستاذ مساعد، كلية الآداب والفنون، جامعة بيشة، المملكة العربية السعودية
selbechir@ub.edu.sa , msidielmoktar@yahoo.fr

عبد الله حسن القرني
أستاذ مساعد، كلية الآداب والفنون، جامعة بيشة، المملكة العربية السعودية

الملخص

إنّ كل نصّ أدبي شعري أو خطابي يحتوي إلى جانب الوظيفة المهيمنة فيه على وظائف أخرى، نحو: الانفعال والتوجيه والاقناع، فالنّصّ الشّعري ليس تخييلاً وتجربة فردية ذاتية فقط، ولكنه يسعى إلى الحث والتحريض والإقناع والحجاج، وإلى تغير المواقف والسلوك. فالحجاج ظاهرة لغوية موجودة في كل قول وكل خطاب، ومهما كان المتحدث، فلا بد أن يخضع الحديث لمثلث أرسطو بأضلاعه الثلاثة: الأخلاق (ethos)، والعاطفة المستخدمة (pathos)، والمنطق (logos) ولأننا سنحاول أن ندرس الحجاج من زاوية البعد العاطفي لا بد من التركيز على ضلع العاطفة، على اعتبار قول أرسطو بأن الإقناع قد يأتي من قبل السامعين حينما تحرك الخطبة مشاعرهم. وقصيدة ابن زيدون موضع الدراسة تزخر بالعاطفة الجياشة وتعزف على أوتار العواطف سبيلاً للحجاج والإقناع.

الكلمات المفتاحية: الباتوس، الحجاج، العواطف، الإقناع.

International Journal of Educational Sciences and Arts (IJESA)
Vol. (3), No. (6)
IJESA
June 2024
المجلة الدولية للعلوم التربوية والآداب
الإصدار (3)، العدد (6)

Emotional Argumentation in the Poetry of Ibn Zaydoun, Poem: If Despair Shortens Your Hope, and No Tricks prevent you from reaping it, "A Model"

Sayed Al-Mukhtar Muhammad Al-Amin Al-Bashir
Assistant Professor, Greater Mahdhara University, Mauritania - Assistant Professor, Faculty of Arts and Arts, University of Bisha, Saudi Arabia
selbechir@ub.edu.sa , msidielmoktar@yahoo.fr

Abdullah Hassan Al-Qarni
Assistant Professor, College of Arts and Arts, University of Bisha, Saudi Arabia

Abstract

Every poetic or rhetorical literary text contains, in addition to its dominant function, other functions, such as: emotion, guidance, and persuasion. The poetic text is not only imagination and an individual, subjective experience, but it seeks to encourage, incite, persuade, and argue, and to change attitudes and behavior. Arguments are a linguistic phenomenon present in every statement and every speech, and whoever the speaker is, the conversation must be subject to Aristotle's triangle with its three sides: ethics (ethos), the emotion used ((pathos), and logic (logos). Because we will try to study arguments from the angle of the emotional dimension, it is necessary Focusing on the aspect of emotion, taking into account Aristotle's statement that persuasion may come from the listeners when the sermon stirs their feelings, and Ibn Zaydun's poem under study is full of intense emotion and plays on the strings of emotions as a means of argument and persuasion.

Keywords: Pathos, Pilgrims, Emotions, Persuasion.

International Journal of Educational Sciences and Arts (IJESA)
Vol. (3), No. (6)
IJESA
June 2024
المجلة الدولية للعلوم التربوية والآداب
الإصدار (3)، العدد (6)

المقدمة

يحتلّ الحجاج دوراً أساساً في الدراسات الأدبية المختلفة بمختلف مقارباتها واهتماماتها، ويعتبر مبحثاً رئيساً من مباحث الخطاب الإنساني، وقد ظلت قضية الشعر والحجاج محل جدل كبير بين النقاد واللغويين، فهل يمكن للشعر وهو الذي يرتكز على التخييل والذاتية، أن يعتمد على مقومات حجاجية؟ ألا يخالف الشعر في بعض تجلياته منطق اللغة والقيم والأحكام؟ في حين يعتمد الحجاج على العقل وواقع المشاهدة والبراهين المنطقية، ألا تعتبر تقنيات التأثير والإغراء والإيهام والمغالطة من جوهر الشعر؟

إنّ كل نصّ أدبي شعري أو خطابي يحتوي إلى جانب الوظيفة المهيمنة فيه على وظائف أخرى، نحو: الانفعال والتوجيه والإقناع، فالنّصّ الشّعري ليس تخييلاً وتجربة فردية ذاتية فقط، ولكنه يسعى إلى الحث والتحريض والإقناع والحجاج، وإلى تغير المواقف والسلوك. فالحجاج ظاهرة لغوية موجودة في كل قول وكل خطاب، ومهما كان المتحدث، فلا بد أن يخضع الحديث لمثلث أرسطو بأضلاعه الثلاثة: الأخلاق (ethos)، والعاطفة المستخدمة (pathos)، والمنطق(logos)، ولأننا سنحاول أن ندرس الحجاج من زاوية البعد العاطفي لا بد من التركيز على ضلع العاطفة، على اعتبار قول أرسطو بأن الإقناع قد يأتي من قبل السامعين حينما تحرك الخطبة مشاعرهم. وقصيدة ابن زيدون موضع الدراسة تزخر بالعاطفة الجياشة وتعزف على أوتار العواطف سبيلاً للحجاج والإقناع.

لقد كانت البلاغة عند أرسطو تمثل خطاباً حجاجياً يرتكز على وظيفتي: التأثير والإقناع، بغية توجيه الخطاب إلى السامع رغبة في إقناعه إيجاباً أو سلباً، وهذا ما أشار إليه أرسطو بقوله: ويحصل الإقناع حين يهيأ المستمعون ويستميلهم القول الخطابي، حتى يشعروا بانفعال ما، لأننا لا نصدر الأحكام على نحو واحد حسبما نحس باللذة والألم، والحب والكراهية، والخطاب هو الذي ينتج الإقناع، حينما نستخرج الصحيح والراجح من كل موضوع يحتمل أن يقع فيه الإقناع [1]، يتألف الخطاب الحجاجي من استراتيجيات إقناعيه حسب بيرلمان: (نقصد بالحجاج المؤثر، ذلك المتوجه إلى مستمع خاص، وبالإقناعي المصوب نحو كائن عاقل فالفرق دقيق ورهين بمفهوم الخطيب للعقل أساساً) [2]، ويعول المستمع على التأثير أكثر من الإقناع، لما للتأثير من أثر كبير في تحريك الأهواء والانفعالات في نفس المستمع، فيكون بذلك أقرب إلى فهم الفكرة المراد إيصالها إليه. وعلى اعتبار أن لكلّ مقام مقالاً، فإن علينا تكييف الخطاب مع مقامات المخاطبين،

1 ـ الخطابة لأرسطو، ترجمة عبد القادر قنيني، أفريقيا الشرق، المغرب، ص16.

2 ـ الحجاج وبناء الخطاب، أمينة الدهري، ط1، شركة النشر والتوزيع المدارس، الدار البيضاء، ص20.

International Journal of Educational Sciences and Arts (IJESA)
Vol. (3), No. (6)
IJESA
June 2024
المجلة الدولية للعلوم التربوية والآداب
الإصدار (3)، العدد (6)

والحجج المشتركة بين المرسل والمخاطب، مع مراعاة حاله، إذ يرتبط السامع (بالباتوس) [3] بعالم الأهواء، أو بثنائية الترغيب والترهيب، ويستثمر الحجاج البلاغي ما تحويه اللغة من فنيات حجاجية (اللوغوس) ، وهذا الاستثمار يولد لنا خطاباً حجاجياً من نوع آخر وهو ما يمكن أن نسميه (الحجاج العاطفي، نظراً لما تتركه ملفوظات هذا الخطاب من أثر بليغ في المتلقي فتحمله على التأثير والاقتناع، وتغيير وجهة نظره اتجاه ما هو معروض). [4]

لقد اهتمت الدراسات اللغوية قديمها وحديثها بالمتلقي وذلك بالتركيز على دوره ومدى أهميته التأثيرية سواء على المستوى البلاغي أم التداولي؛ مما يجعل معرفة أحوال المتلقي ذات أثر كبير في بناء الخطاب، وتمكّن المرسل من اختيار اللغة المناسبة لتعزيز عملية التواصل بينهما.

وتتحكّم الظروف الاجتماعية والثقافية والنفسية المحيطة بالمتكلم والمتلقي قبل وأثناء الخطاب في العلاقة القائمة بينهما، وعندما (تتوافر كفاءة بين المتكلم في مراعاة هذه الظروف واستيعاب الرسالة لدى المتلقي فهذا بدوره يعزز أهمية الخطاب من جهة، ويبرز مقاصده وأهدافه لدى المتلقي من جهة أخرى). [5]

القصيدة: [6]

لَـئِن قَصَّرَ اليَأسُ مِنكِ الأَمَل ۞ وَحالَ تَجَنّيكِ دونَ الحِيَل
وَناجاكِ بِالإِفكِ فِيَّ الحَسودُ ۞ فَأَعطَيتِهِ جَهرَةً ما سَأَل
وَراقَكِ سِحرُ العِدا المُفتَرى ۞ وَغَرَّكِ زورُهُمُ المُفتَعَل
وَأَقبَلتِهِم فِيَّ وَجهَ القَبولِ ۞ وَقابَلَهُم بِشرُكِ المُقتَبَل
فَإِنَّ ذِمامَ الهَوى لَم أَزَل ۞ أُبَقّيهِ حِفظاً كَما لَم أَزَل
فَدَيتُكِ إِن تَعجَلي بِالجَفا ۞ فَقَد يَهَبُ الريثَ بَعضُ العَجَل

3 ـ يلخص أرسطو حديثه عنه قائلا:" هناك إقناع بواسطة السامعين حين يدفعون بواسطة الخطاب إلى الإحساس بانفعال ما، لأننا لا نصدر أحكامنا على نفس الشاكلة بحسب ما إذا كنا مملوئين غما أو فرحا، ودّا أو كراهية" . ينظر: بلاغة الحجاج الأصول اليونانية، الحسين بنو هاشم، دار الكتاب الجديد المتحدة، ص215.

4 ـ ينظر: من الحجاج الى البلاغة الجديدة، جميل حمداوي، أفريقيا الشرق،2014، المغرب، ص34.

5 ـ ينظر: المصدر نفسه، ص34.

6 ـ ينظر: ابن زيدون، الديوان، تحقيق: حنّا الفاخوري، دار الجيل، بيروت، ط1، 1990م، ص394.

International Journal of Educational Sciences and Arts (IJESA)
Vol. (3), No. (6)
IJESA
June 2024
المجلة الدولية للعلوم التربوية والآداب
الإصدار (3)، العدد (6)

عـــلامَ اِطّبَتـــكِ دَواعي القِـــلى ﴿ وَفـــيمَ ثَنَتـــكِ نَـــواهي العَـــذَل
أَلَـــم أَلـــزَمِ الصَـــبرَ كَيمـــا أَخِـــفَّ؟ ﴿ أَلَـــم أُكـــثِرِ الهَجـــرَ كَي لا أُمَـــلّ؟
أَلَـــم أَرضَ مِنـــكِ بِغَـــيرِ الـــرِضى؟ ﴿ وَأُبـــدي السُـــرورَ بِمـــا لَـــم أَنَـــل؟
أَلَـــم أَغتَفِـــر موبِقـــاتِ الـــذُنوبِ ﴿ عَمـــداً أَتَيـــتِ بِهـــا أَم زَلَـــل؟
وَمـــا ســـاءَ ظَـــنّيَ في أَن يُسيـــءَ ﴿ بِيَ الفِعـــلَ حُســـنُكِ حَـــتّى فَعَـــل
عَلى حينَ أَصبَحتِ حَسبَ الضَميرِ ﴿ وَلَـــم تَبـــغِ مِنـــكِ الأَمـــاني بَـــدَل
وَصـــــــانَكِ مِـــــــنّي وَفِيٌّ أَبِيٌّ ﴿ لِعِلـــــقِ العَلاقَـــــةِ أَن يُبتَـــــذَل
سَـــعَيتِ لِتَكـــديرِ عَهـــدٍ صَـــفا ﴿ وحاولـــتِ نقـــصَ ودادٍ كمَـــل
فَمـــا عوفِيَـــت مِقَـــتي مِـــن أَذىً ﴿ ولا أعفيَـــتْ ثقـــتي مـــن خجـــل
وَمَهمـــا هَـــزَزتُ إِلَيـــكِ العِتـــابَ ﴿ ظـــاهَرتِ بَـــينَ ضُروبِ العِلَـــل
كَأَنَّـــكِ نـــاظَرتِ أَهـــلَ الكَـــلامِ ﴿ وَأوتيـــتِ فَهمـــاً بِعلـــمِ الجَـــدَل
وَلَـــو شِـــئتِ راجَعـــتِ حُـــرَّ الفَعـــالِ ﴿ وَعُـــدتِ لِتِلـــكَ السَـــجايا الأُوَل
فَلَـــم يَـــكُ حَـــظّيَ مِنـــكِ الأَخَـــسَّ ﴿ ولا عُـــدَّ سَـــهمِيَ فيـــكِ الأَقَـــلّ
عَلَيـــكِ السَـــلامُ سَـــلامُ الـــوَداعِ ﴿ وَداعِ هَـــوىً مـــاتَ قَبـــلَ الأَجَـــل
وَمـــا بِاِختِيـــارٍ تَسَـــلَّيتُ عَنـــكِ ﴿ وَلَكِنَّـــــني مُكـــــرَهٌ لا بَطَـــــل
وَلَـــم يَـــدرِ قَلـــبِيَ كَيـــفَ الـــنُزوعُ ﴿ إِلى أَن رَأى ســـــيرَةً فَامتَثَـــــل
وَلَيـــتَ الَّـــذي قـــادَ عَفـــواً إِلَيـــكِ ﴿ أَبِيَّ الهَـــوى في عَنـــانِ الغَـــزَل
يُحيـــلُ عُذوبَـــةَ ذاكَ اللَـــمى ﴿ وَيَشـــفي مِـــنَ السُـــقمِ تِلـــكَ المُقَـــل

International Journal of Educational Sciences and Arts, London Vol (3), No (6), 2024
https://doi.org/10.59992/IJESA.2024.v3n6p4 E-ISSN 2976-7237

International Journal of Educational Sciences and Arts (IJESA)
Vol. (3), No. (6)
IJESA
June 2024
المجلة الدولية للعلوم التربوية والآداب
الإصدار (3)، العدد (6)

1ـ الحجاج العاطفي في القصيدة:

بغية تحليل حجاجي عاطفي لهذه القصيدة لا بد من الوقوف على كشف بعض العلاقات والروابط التي تحقق انسجام البنية الكلية للقصيدة، كالكناية والاستعارة والمجاز باعتبارها آليات بلاغية بها يتحقق الجانب الجمالي للقصيدة وآليات التضاد والتكرار كقوانين تربط الأساليب الإنشائية والأفعال اللغوية، وفي القصيدة التي بين أيدينا سنحاول الوقوف بالتحليل والتمحيص على بعض هذه المعالم.

يمثل المخاطَب الطرف الفعّال في عملية التواصل؛ لأن دوره يكمن في قراءة الخطاب وتلقيه، بل هو يشارك المتكلم في إنتاج خطابه؛ باعتباره حاضراً في ذهن المتكلم، ليحدث انسجاماً طبيعياً بين الطرفين؛ لأن كل واحد منهما يشعر بالآخر، ويعد (المخاطَبُ طرفاً إيجابياً في عملية التواصل، لا مستقبلاً لنصّ المتكلم فقط، وإنما بإمكانه القيام بتغييرات جوهرية على الرسالة من خلال استجاباته لها) [7]. وتكمن علاقة الشاعر بالمخاطب في الوظيفة الانفعالية والإفهامية وهذا ما ذكره ياكبسون بقوله: (تهدف الوظيفة المسماة تعبيرية أو انفعالية المركزة على المرسل إلى أن تعبر بصفة مباشرة عن موقف المتكلم تجاه ما يتحدث عنه) [8]. ويتضح أن هدف الشاعر الأساس، هو: التأثير في المتلقي، وهذا ما نجده شاخصاً في شعر ابن زيدون حين يلج إلى استعمال مفردات ذات صيغة تأثرية، موجهاً كلامه لمحبوبته ولادة، وهي أميرة وشاعرة مبدعة وأديبة كبيرة، فيعمد إلى إثارة عاطفتها وانفعالاتها، بغية نيل رضاها، واستعطافها طلباً لعفوها ووصلها وغير ذلك من الغايات والمآرب المضمرة في نفس الشاعر ويروم تحقيقها، الأمر الذي يجبر الشاعر على الدقة والحرص في انتقاء المفردات المؤثرة في نفس المحبوبة للوصول إلى أهدافه المنشودة، يقول:

لَـئِن قَصَّرَـ اليَـأسُ مِنـكِ الأَمَـل ﴿ وَحـــالَ تَجَنّيـــكِ دونَ الحِيَـــل
وَناجـــاكِ بِالإِفـــكِ فِيَّ الحَســـودُ ﴿ فَأَعطَيتِـــهِ جَهـــرَةً مـــا سَـــأَل
وَراقَـــكِ سِـــحرُ العِـــدا المُفـــتَرى ﴿ وَغَـــرَّكِ زورُهُـــمُ المُفتَعَـــل
وَأَقبَلـــتِهِم فِيَّ وَجـــهَ القَبـــولِ ﴿ وَقـــابَلَهُم بِشرُـــكِ المُقتَبَـــل
فَـــإِنَّ ذِمـــامَ الهَـــوى لَـــم أَزَل ﴿ أُبَقّيـــهِ حِفظـــاً كَمـــا لَـــم أَزَل

7. ينظر: بلاغه المخاطب، البلاغة العربية من إنتاج الخطاب السلطوي إلى مقاومته، عماد عبد الطيف، (بحث)، ص14.
8. ينظر: المصدر السابق، ص16.

International Journal of Educational Sciences and Arts (IJESA)
Vol. (3), No. (6)
IJESA
June 2024
المجلة الدولية للعلوم التربوية والآداب
الإصدار (3)، العدد (6)

عمد الشاعر إلى استعمال هذا الكم الهائل من الألفاظ العذبة كاستعماله للفظة: (اليأس، الحيل، الإفك، الحسود، سحر العدا، المفترى، غرّك، زور)، ليستثير عاطفة ولادة فجاءت ألفاظه رقيقة معبرة عن حجم الخيانة التي يتعرض لها الشاعر والدسائس التي ينسجها أعداء الشاعر بغية التفريق بينه وبين المحبوبة، ولأنها شخصية أدبية مشهورة، بمجرد سماعها لهذه الأبيات يفترض أن تشعر بتناغم روحي يبعث فيها شجون المحبة، وذكريات الماضي الجميل، المفعم بالحب الصادق لتأجيج عاطفة ولادة وإثارة مشاعرها وأحاسيسها، وعلى هذه الاعتبارات يمكن تقسيم القصيدة التي بين أيدينا إلى المقاطع التالية:

ـ **أولاً:** المقطع الأول تبدأ القصيدة بجملة الشرط (لئن)، وما تشي به من حجاج يريد الشاعر من خلاله مخاطبة شعور حبيبته ولادة، واستعطافها، ويبدأ هذا الحجاج العاطفي (لئن قصّر اليأس منك الأمل...)، ثم يتدرج إلى أن يصل ذروته بخضوع الشاعر لداعي الهوى وسلطان الشوق ووفاء المحب، فرغم اليأس منها وتصديقها لكلام الوشاة الكاذبين وإعراضها عنه فهو باق على حبها لا يتزحزح قيد أنملة حفظاً للعهد وبقاءً على الوعد. وتبدو تيمة الوفاء التي يتمسك بها الشاعر على الرغم من تخلي الحبيبة عنه وهجرها له وتصديق الأعداء والوشاة.

ـ **ثانياً:** المقطع الثاني يبدأ الشاعر بالتساؤل: (ألم...)؛ ليؤثر في عاطفة الحبيبة ولادة ويستثير عطفها عليه فهو الذي يرضى منها بالقليل، وهو الذي يغفر زلاتها ويتجاوز عما يصدر منها اتجاهه من تصرفات سلبية سواء كانت عن عمد أو عن خطأ، فلماذا هذا الصدود وهذا الهجران، ولكنه يؤكد لها أنه باق على العهد مهما فعلت ومهما أتت من الموبقات.

أَلَـم أَلـزَمِ الصَـبرَ كَيمـا أَخِـفَّ؟ ﴿ أَلَـم أُكـثِرِ الهَجـرَ كَي لا أُمَـلّ؟
أَلَـم أَرضَ مِنـكِ بِغَـيرِ الـرِضى؟ ﴿ وَأُبـدي السُرـورَ بِمـا لَـم أَنَـل؟
أَلَـم أَغتَفِـر موبِقـاتِ الـذُنوبِ ﴿ عَمـداً أَتَيـتِ بِهـا أَم زَلَـل؟
وَمـا سـاءَ ظَـنِّيَ في أَن يُسيـءَ ﴿ بِيَ الفِعـلَ حُسـنُكِ حَـتّى فَعَـل
عَلى حينَ أَصبَحتِ حَسبَ الضَميرِ ﴿ وَلَـم تَبـغِ مِنـكِ الأَمـاني بَـدَل
وَصـانَكِ مِـنّي وَفِيٌّ أَبِيٌّ ﴿ لِعِلـقِ العَلاقَـةِ أَن يُبتَـذَل

International Journal of Educational Sciences and Arts (IJESA)
Vol. (3), No. (6)
IJESA
June 2024
المجلة الدولية للعلوم التربوية والآداب
الإصدار (3)، العدد (6)

ـ **ثالثاً:** المقطع الثالث تبقى الحبيبة ولادة غريبة الأطوار متقلبة المزاج، كلما زاد الشاعر في اعتذاره وحججه العاطفية المقنعة تزداد بعداً منه، كأنها تناظر أهل الكلام متحججة بحجج واهية:

فَمـــا عوفِيَـــت مِقَـــتي مِـــن أَذىً ﷺ ولا أعفيَـــتْ ثقـــتي مـــن خجـــل
وَمَهمـــا هَـــزَزتُ إِلَيـــكِ العِتـــابَ ﷺ ظـــاهَرتِ بَـــينَ ضُروبِ العِلَـــل
كَأَنَّـــكِ نـــاظَرتِ أَهـــلَ الكَـــلامِ ﷺ وَأوتيـــتِ فَهمـــاً بِعلـــمِ الجَـــدَل
وَلَـــو شِـــئتِ راجَعـــتِ حُـــرَّ الفَعـــالِ ﷺ وَعُـــدتِ لِتِلـــكَ السَـــجايا الأُوَل
فَلَـــم يَـــكُ حَـــظّيَ مِنـــكِ الأَخَـــسَّ ﷺ ولا عُـــدَّ سَـــهمِيَ فيـــكِ الأَقَـــلّ

ـ **رابعاً:** المقطع الأخير يختم الشاعر القصيدة بالسلام على الحبيبة، وتأكيده التمسك بحبها، رغم كل الأفعال السلبية التي أتت بها، فحبها هو قدره المحتوم الذي لا مناص منه، والأمل برجوع المحبوبة إلى رشدها ووصل حبيبها باق ما بقي الليل والنهار.

عَلَيـــكِ السَـــلامُ سَـــلامُ الـــوَداعِ ﷺ وَداعِ هَـــوىً مـــاتَ قَبـــلَ الأَجَـــل
وَمـــا بِاختِيـــارٍ تَسَـــلَّيتُ عَنـــكِ ﷺ وَلَكِنَّـــــني مُكـــــرَهٌ لا بَطَـــــل
وَلَـــم يَـــدرِ قَلـــبِيَ كَيـــفَ الـــنُزوعُ ﷺ إِلى أَن رَأى ســـــيرَةً فَامتَثَـــــل
وَلَيـــتَ الَّـــذي قـــادَ عَفـــواً إِلَيـــكِ ﷺ أَبِيَّ الهَـــوى في عَنـــانِ الغَـــزَل
يُحيـــلُ عُذوبَـــةَ ذاكَ اللَـــمى ﷺ وَيَشـــفي مِـــنَ السُـــقمِ تِلـــكَ المُقَـــل

نلاحظ أن التركيب النصي يلعب الدور البارز في تحقيق انسجام النّص على مستوياته المختلفة (الصوتية والمعجمية والايقاعية والدلالية والتداولية)، فالروابط التداولية والحجاجية نحو: (ألم، ولكن، ومهما، ليت ...) وغيرها من الروابط، التي من شأنها خدمة البعد الحجاجي في النص من خلال الاستنتاج والاستفسار وتقوية الحجة.

ولنستبين دور بعض هذه الروابط التداولية والحجاجية في قصيدة الشاعر موضع البحث فإننا سنتناول: الاستعارة الحجاجية، تقنيات التكرار، الحوار والحجاج، حال المخاطب.

International Journal of Educational Sciences and Arts (IJESA)
Vol. (3), No. (6)
IJESA
June 2024
المجلة الدولية للعلوم التربوية والآداب
الإصدار (3)، العدد (6)

2ـ الاستعارة الحجاجية:

تعتبر الاستعارة من الوسائل اللغوية التي (تحقق الأبعاد الحجاجية في النصوص والخطابات، وانطلاقاً من كون القول الاستعاري يتمتع بقوة حجاجية عالية إذا ما قورنت بالأقوال العادية) [9]، وإذا ما عدنا إلى النص الشعري الذي نحن بصدد تحليله ودراسته، فإننا نجده يتضمّن مجموعة من الاستعارات الحجاجية، نحاول الوقوف عليها واستجلاء أبعادها الحجاجية.

إنّ هذه الاستعارات: (قصر اليأس -هززت إليك العتاب -لم يدر قلبي -عنان الغزل)، تعتبر نمطاً حجاجياً، فليست مقصودة لذاتها، بل هي مرتبطة بقصد الشاعر وهدفه الحجاجي، وتسهم بشكل كبير في تحقيق البعد الحجاجي في النّص الشعري، فنجد الشاعر ينطلق من نأي محبوبته، وانفصالها عنه وتصديقها للواشين، ورغم ذلك فهو متمسك بحبّها، فالحب وحده هو أمل الشاعر في عودة المحبوبة إلى رشدها، ووصلها حبيبها، وكان لهذه الاستعارات الموظفة قوة حجاجية تبليغيه.

3ـ تقنيات التكرار:

تشارك تقنيات التكرار في تحقيق تلاحم أجزاء النّص، وتكرار الروابط الحجاجية فيه وتساهم مفردات بعينها في جعل النّص مترابط الأجزاء على مستوى البناء والتركيب، وعلى مستوى التداول والدلالة، ويسمح التكرار بتوالد بنيات لغوية جديدة في النّص، وله وظائف خطابية عديدة، منها: (الإفصاح والكشف والإفهام وتوكيد الكلام وتقرير المعنى وإثباته) [10]، فهو يسعى لكشف المعنى وتوضيحه وتوكيد الكلام، والتكرار من آليات تحقيق البعد الحجاجي للكلام، واتساق النّص وتوكيد معناه.

يكون (التكرار في اللفظ والمعنى معاً، وقد يكون في المعنى دون اللفظ) [11]، ويكون في الروابط الحجاجية والصيغ التركيبية، أو في مقاطع معينة من النّص أو تكرار مواقف محددة، وفي النص الذي بين أيدينا فقد تمثل التكرار، في الآتي:

ـ الروابط الحجاجية: (الواو وردت 24 مرة، الفاء وردت 5 مرات، الهمزة وردت 4 مرات).

ـ ألفاظ بعينها، مثل: (ألم، وردت 4 مرات، لم أزل، وردت مرتين).

9 ـ ينظر: من الحجاج الى البلاغة الجديدة، جميل حمداوي، أفريقيا الشرق 2014، المغرب، ص104.

10 ـ أبو بكر العزاوي، اللغة والحجاج، العمدة في الطبع، المغرب، ط1، 2006م، ص27.

11 ـ نفس المرجع السابق، ص106.

International Journal of Educational Sciences and Arts (IJESA)
Vol. (3), No. (6)
IJESA
June 2024
المجلة الدولية للعلوم التربوية والآداب
الإصدار (3)، العدد (6)

ـ مفردات معينة: (أقبل، قابل، المقتبل، عوفيت، أعفيت).

ـ أفعال لغوية، مثل التساؤل: (ألمْ ألزَمِ ؟، ألمْ أرضَ؟، ألمْ أكثرِ؟، ألَمْ أغتفِرْ؟).

إن تكرار هذه العلاقات الناتجة عن الروابط الحجاجية من شأنها المساهمة في بناء النّص واتساع دلالاته؛ لأن العلاقات الحجاجية تبني علاقات ترابط وتسلسل وفق مبدأ ارتباط السابق باللاحق، وتضيف العلاقة الحجاجية الجديدة عناصر حجاجية جديدة للعلاقة السابقة، فنلاحظ تكرار الرابط (الواو)، الذي يحيلنا إلى ترابط أجزاء النص وتلاحم معانيه، وكذلك الرابط (الفاء)، بينما يحيلنا الرابط (الهمزة)، إلى تساؤل جديد هو: (ألم؟)، ويكون النّص بهذه الشاكلة سلسلة مترابطة الأجزاء، تحقيقاً لوحدة النّص، وانسجام أجزائه ومقاطعه. ويشكل تكرار الرابط الحجاجي (الواو) أساس بناء القصيدة، من خلال ضم أجزائها بعضها إلى بعض، وإنشاء علاقات حجاجية جديدة، لنحصل في النهاية على صورة متكاملة لحالة الشاعر العاطفية إزاء محبوبته.

4ـ الحوار والحجاج:

تتعدد الحوارات وتتمايز من الصريح إلى المضمر، ومن الأفقي إلى العمودي، والنص الذي بين أيدينا أتى كلّه على شكل حوار صريح ومباشر بين الشّاعر وحبيبته (ولادة)، ويتضح ذلك من خلال آلية السؤال والجواب والأفعال اللغوية من استفهام وتفسير وتبرير، ويعتبر (الحوار من أهم أشكال التفاعل اللفظي وهو المجال الطبيعي الذي يقع فيه الحجاج والمناظرة بامتياز) [12]. حيث يتحدث الشاعر عن واقعه المرّ الذي يعيش، واقع الغدر والخيانة والوشاية التي تنغص حياته، فيفتتح القصيدة بجملة الشرط "لئن":

لَـئِن قَصَّرَـ اليَـأسُ مِنـكِ الأَمَـل ﴿ وَحـــالَ تَجَنّيـــكِ دونَ الحِيَـــل
وَناجـــاكِ بِالإِفـــكِ فِيَّ الحَســـودُ ﴿ فَأَعطَيتِـــهِ جَهـــرَةً مـــا سَـــأَل
وَراقَـــكِ سِـــحرُ العِـــدا المُفـــتَرى ﴿ وَغَـــرَّكِ زورُهُـــمُ المُفتَعَـــل
وَأَقبَلـــتِهِم فِيَّ وَجـــهَ القَبـــولِ ﴿ وَقـــابَلَهُم بِشرُـــكِ المُقتَبَـــل
فَـــإِنَّ ذِمـــامَ الهَـــوى لَـــم أَزَل ﴿ أُبَقّيـــهِ حِفظـــاً كَمـــا لَـــم أَزَل

12 ـ ينظر: من الحجاج الى البلاغة الجديدة، جميل حمداوي، أفريقيا الشرق، 2014، المغرب، ص106.

International Journal of Educational Sciences and Arts, London Vol (3), No (6), 2024
https://doi.org/10.59992/IJESA.2024.v3n6p4 E-ISSN 2976-7237

International Journal of Educational Sciences and Arts (IJESA)
Vol. (3), No. (6)
IJESA
June 2024
المجلة الدولية للعلوم التربوية والآداب
الإصدار (3)، العدد (6)

فيكون الجواب بأنه المحب الوفي للعهد رغم ما يتعرض له من نكاية ووشاية وصدود وهجر من أحب الناس إليه وأقربهم من قلبه إلا أنه سيبقى رغم كل المكائد والدسائس، يعيش في حبها ولحبها، حتى يتمكن من استرداد عهده الزاهر بغرام الحبيبة وتعود مجالس الأنس والمرح التي عاشاها معاً بأمان وفرح وبهجة وسرور، ويزيد الشاعر في قوة حججه من خلال الطابع الحواري الذي أخذه النّص على شكل استفهام:

عـــلامَ اِطّبَتـــكِ دَواعي القِـــلى ﴿ وَفـــيمَ ثَنَتـــكِ نَـــواهي العَـــذَل

أَلَـــم أَلـــزَمِ الصَـــبرَ كَيمـــا أَخِـــفَّ؟ ﴿ أَلَـــم أُكـــثِرِ الهَجـــرَ كَي لا أُمَـــلّ؟

أَلَـــم أَرضَ مِنـــكِ بِغَـــيرِ الـــرِضى؟ ﴿ وَأُبـــدي السُـــرورَ بِمـــا لَـــم أَنَـــل؟

أَلَـــم أَغتَفِـــر موبِقـــاتِ الـــذُنوبِ ﴿ عَمـــداً أَتَيـــتِ بِهـــا أَم زَلَـــل؟

(عَلامَ أطّبَتْكِ ....)، (ألمْ ألزَمِ ؟، ألمْ أرضَ؟، ألمْ أكثرِ؟، ألَمْ أغتفِرْ؟ ...)، ممّا أكسبه بعداً حجاجياً عالياً، وجعلنا نتبين بوضوح الوظيفة الحجاجية والإقناعية التي هي (إحدى وظائف النّص الشعري والنّص الأدبي بوجه عام) [13]، فساعد الحوار في تصاعد وتيرة الحجاج العاطفي لدى الشاعر علّه يستطيع إقناع حبيبته، ويحقق الواقع الذي يرضاه لنفسه ولو على مستوى الأحلام والتطلعات.

5ـ المخاطب الخاص:

يعتبر المخاطب الخاص من أفضل أنواع الطبقات؛ لأنه ينتمي إلى طبقة سامية اجتماعياً وثقافياً وعلى مستوى كبير من الثقافة يؤهله لتلقى الخطاب بمستوياته الشعرية والتخيلية المختلفة، ولكن أهمية المخاطب الخاص لا تعتمد على المستوى الاجتماعي فحسب، بل تعتمد بالدرجة الأساس على مستواه اللغوي والأدبي والفكري؛ وهذا ما نجده عند ابن زيدون وهو يخاطب الشاعرة والأميرة ولادة بيت المستكفي التي تميزت بخصوصيتها اللغوية والأدبية الكبيرة، فضلاً عن مكانتها الاجتماعية المرموقة؛ كقوله:

سَـــعَيتِ لِتَكـــديرِ عَهـــدٍ صَـــفا ﴿ وحاولـــتِ نقـــصَ ودادِ كمَـــل

فَمـــا عوفِيَـــت مِقَـــتي مِـــن أَذىً ﴿ ولا أعفيَـــتْ ثقـــتي مـــن خجـــل

13 ـ ابن الأثير، ضياء الدين، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، تقديم أحمد حوفي وبدوي طبانة، دار النهضة، مصر، ط2، 1973م، ج9، ص17.

International Journal of Educational Sciences and Arts (IJESA)
Vol. (3), No. (6)
IJESA
June 2024
المجلة الدولية للعلوم التربوية والآداب
الإصدار (3)، العدد (6)

وَمَهمـــا هَـــزَزتُ إِلَيـــكِ العِتـــابَ ﴿ ظـــاهَرتِ بَـــينَ ضُروبِ العِلَـــل
كَأَنَّـــكِ نـــاظَرتِ أَهـــلَ الكَـــلامِ ﴿ وَأوتيـــتِ فَهمـــاً بِعلـــمِ الجَـــدَل
وَلَـــو شِـــئتِ راجَعـــتِ حُـــرَّ الفَعـــالِ ﴿ وَعُـــدتِ لِتِلـــكَ السَـــجايا الأُوَل

إذ بدت عاطفة الشاعر المتأججة بالحب وهو يقر بعبثية العلاقة مع ولادة فلا قدرة له على النسيان وإن هجرته الحبيبة، ويحتج لها بما يملك من كرم أخلاق وما يتمتع به من صفات الوفاء تجعله يتجرع المرارة لهجرها. وعلى اعتبار مفهوم المخاطب نفسه مفهوماً مزدوجاً (فكل متلقٍّ خاص هو من ناحية معطى تجريبي يلتقيه الباث دون أن يختاره ولذا عليه أن يطوع له خطابه، ومن ناحية أخرى هو مجموعة وعليه أن يتوقع ردود فعلها) [14]، فلا يمكن تجريد الشاعر من عواطفه وأحاسيسه ومنعه من البوح عما يختلج في ذاته من حزن أو فرح أو حب (فالشاعر في الواقع كأيِّ إنسان آخر يحب ويكره، ويأمل ويأس، ويمر بجميع الحالات الوجدانية الانفعالية التي يمر بها سائر الناس بيد أن الأديب يمتاز بالقدرة على تكثيف وجدانياته بحيث يركزها ويصبّها على ما يبدعه من عمل أدبي) [15].

6ـ المخاطب الصريح:

إن المخاطب الصريح حاضرٌ في ذهن الشاعر وهو المقصود بالرسالة الموجهة وينتظر الشاعر الاستجابة لها، كذلك تختلف حالة الشاعر في طريقة إلقاء الرسالة حسب المقام الذي يقتضيه فتتنوع ما بين الرقة والغضب أو التوسط بينهما مع مراعاة (حالة المتلقي ومدى استجابته للرسالة) [16]، ويتميز المخاطَب الصريح بالثقافة والذكاء لفهم مراد الشاعر وتحقيق أهدافه، فكأن الشاعر اتخذ من المخاطَب الصريح وسيلة وغاية لإيصال ما يريد وتحقيق ما يصبو إليه من تأثير، وشاعرنا ابن زيدون اتخذ من شخصية مشهورة في المجتمع كولادة وسيلة لتغيير ما يعانيه من سوء المعاملة والظلم والقسوة وبهذا يتمكن الشاعر عن طريق المخاطب الصريح الوصول إلى تحقيق المبتغى، كقوله:

لَـــئِن قَصَّرَـــ اليَـــأسُ مِنـــكِ الأَمَـــل ﴿ وَحـــالَ تَجَنّيـــكِ دونَ الحِيَـــل

14 ـ ينظر: الحجاج في الشعر العربي بنيته وأساليبه، سامية الدريدي، إربد، عالم الكتب الحديثة، الأردن، ط02 ص36.
15 ـ سيكولوجية الابداع في الفن والأدب، يوسف ميخائيل اسعد، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط1، ص181.
16 ـ ينظر :الحجاج مفهومه ومجالاته، حافظ إسماعيلي علوي، أربد، عالم الكتب الحديث، الأردن، ص424.

International Journal of Educational Sciences and Arts (IJESA)
Vol. (3), No. (6)
IJESA
June 2024
المجلة الدولية للعلوم التربوية والآداب
الإصدار (3)، العدد (6)

وَناجـــاكِ بِالإِفـــكِ فِيِّ الحَســـودُ ﴿ فَأَعطَيتِـــهِ جَهـــرَةً مـــا سَـــأَل
وَراقَـــكِ سِـــحرُ العِـــدا المُفـــتَرى ﴿ وَغَـــرَّكِ زورُهُـــمُ المُفتَعَـــل
وَأَقبَلـــتِهِم فِيَّ وَجـــهَ القَبـــولِ ﴿ وَقـــابَلَهُم بِشرُـــكِ المُقتَبَـــل
فَـــإِنَّ ذِمـــامَ الهَـــوى لَـــم أَزَل ﴿ أُبَقّيـــهِ حِفظـــاً كَمـــا لَـــم أَزَل
فَـــدَيتُكِ إِن تَعجَـــلي بِالجَفـــا ﴿ فَقَـد يَهَـبُ الريـثَ بَعـضُ العَجَـل
عـــلامَ اِطّبَتـــكِ دَواعي القِـــلى ﴿ وَفـــيمَ ثَنَتـــكِ نَـــواهي العَـــذَل

يسير الشاعر من خلال هذه الأبيات وفق تخطيط مسبقٌ في ذهنه يريد من خلاله تحقيق ذاته للوصول إلى إقناع الحبيبة ولادة، بالرجوع إلى سابق عهدها، وينصحها بالتريث وعدم التعجل بالجفاء.

7ـ المخاطب المتخيل:

المخاطب المتخيل _ بحسب وجهة نظر آيز _ هو مخاطب واقعي له وجود فعلي في النص، وله علاقة وطيدة بالمخاطب الحقيقي إذ (لا يمكننا أن نتصور مخاطباً ضمنياً دون أن نستحضر المخاطب الحقيقي والتطورات التاريخية وحقبه الفنية، وهنا نكون إزاء تاريخ أدبي من نوع جديد وظيفته التركي على تجاوبات القرّاء، وأنواع الأحكام التي يصدرونها عقب تلقيهم للعمل الأدبي) [17].

هذا يعني أن المخاطب المتخيل هو تصويرٌ للمخاطب الحقيقي. وقد احتل المخاطب الضمني مكانة مميزة في هذه القصيدة؛ نحو قوله:

لَـئِن قَصَّرَـ اليَـأسُ مِنـكِ الأَمَـل ﴿ وَحـــالَ تَجَنّيـــكِ دونَ الحِيَـــل
وَناجـــاكِ بِالإِفـــكِ فِيِّ الحَســـودُ ﴿ فَأَعطَيتِـــهِ جَهـــرَةً مـــا سَـــأَل
وَراقَـــكِ سِـــحرُ العِـــدا المُفـــتَرى ﴿ وَغَـــرَّكِ زورُهُـــمُ المُفتَعَـــل
وَأَقبَلـــتِهِم فِيَّ وَجـــهَ القَبـــولِ ﴿ وَقـــابَلَهُم بِشرُـــكِ المُقتَبَـــل

17 ـ بناء المعنى وتجلي الموضوع الجمالي في شعر عبدالله العشي " القارئ الضمني أنموذجاً (بحث)، مجلة قراءات، بسكرة، ص235.

International Journal of Educational Sciences and Arts (IJESA)
Vol. (3), No. (6)
IJESA
June 2024
المجلة الدولية للعلوم التربوية والآداب
الإصدار (3)، العدد (6)

فَـــإِنَّ ذِمـــامَ الهَـــوى لَـــم أَزَل ﷺ أُبَقّيـــهِ حِفظـــاً كَمـــا لَـــم أَزَل

يثير الشاعر في داخلنا إحساساً كبيراً بالجفاء والشجن ونحن في حضرة المحبوبة وهذا واضحٌ من عذوبة الكلمات ورقتها التي توحي بكمية الحب الممزوج بالعتب الموجه إلى المحبوبة، فالشاعر يوجه عتاباً يحمل نوعاً ما من القسوة، وهذا ناتج عن كمية الأذى التي تعرض لها من قبل الوزير أبي عامر ابن عبدوس، الأمر الذي جعله يتحدث بكم كبير من الألم والخيبة، إذ صار شاعرنا يتمنى لو تعود به الأيام لما كان له من حظوة عند ولادة، رغم ما اقترفت من الأخطاء الكثيرة، وما اجترت من ذنب وعصيان، يقابله حسن أخلاق ابن زيدون الذي يتحلى بالوفاء للمحبوبة رغم ما تقابله به من صد وهجران، بسبب تصديقها الوشاة، فالمتلقي لهذه الأبيات يشعر بالعطف والحنان لحال ابن زيدون فهو الوفي المغدور، وهذه حجة دامغة أتخذها الشاعر لإيصال رسالته.

8ـ حال المخاطب:

لا بد للمتكلم من مراعاة حال المخاطَب، ومراقبة حاله وتأملها؛ فالمتلقي ليس مجرد أداة جامدة مستقبلة للخطاب، بل هو كائن إنساني له هويته الإنسانية والاجتماعية واللغوية والثقافية وخصائصه النفسية والذاتية التي تحكمه وتحدده:

أ ـ الحال الاجتماعي:

تعتبر اللغة في جوهرها نظاماً من العلامات يخضع لنسق اجتماعي، إذ توجد وشائج محكمة تربط الإنسان بغيره؛ وذلك لأن "الوعي الذاتي يقتضي الشعور بالآخرين، فهو اجتماعي في أعمق أعماق طبيعته الميتافيزيقية، وما دامتْ حيلة الإنسان تعبيراً عن الأنا فإنها تفترض وجود الآخرين" [18]، ومادام المتكلم لا ينتج لنفسه فإن عليه مراعاة الحالة الاجتماعية للمخاطب، ومن الضروري أن يلتزم بالمعيار الاجتماعي في مراعاة أحوال المخاطبين ومنازلهم، (فلا يكلم سيد الأمة بكلام الأمة ولا الملون بكلام السوقة، ويكون في قواه فضل التصرف في كل طبقة) [19]، ومثل هذه العناية بأحوال المخاطب نجدها شاخصة في شعر ابن زيدون وهو يخاطب ولادة بنت المستكفي، فالطريقة التي يتكلم بها الشاعر قريبة من نفس المتلقي، إذ تشعر بأن ابن زيدون لا

18 ـ الخطاب في نهج البلاغة بنيته وأنماطه ومستوياته، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، حسين العمري، ص144.

19 ـ قراءة النص وجماليات التلقي بين المذاهب الغربية الحديثة وتراثنا النقدي، محمود عباس عبد الواحد، القاهرة، دار الفكر العربي، ط1، ص135.

International Journal of Educational Sciences and Arts (IJESA)
Vol. (3), No. (6)
IJESA
June 2024
المجلة الدولية للعلوم التربوية والآداب
الإصدار (3)، العدد (6)

يتكلف في طريقة الالقاء وإنما يتحدث على سجيته فيعبر بطريقة عفوية تعكس ما يعانيه من خيبة أمل تعرض لها من أقرب الناس وأحبهم إلى قلبه عشيقته المدللة، ولادة الأميرة.

ب ـ الحال التأثّري:

يعتبر الانسان المخاطب مزيجاً من ذهن وعقل ونفس وانفعال، الأمر الذي يحتّم على المتكلم مراعاة علاقة النص بالمخاطب وخصوصاً من الناحية النفسية الانفعالية، وعلى هذا فإن الحجاج (الباتوسي يستند على النوازع والأهواء والانفعالات النفسية للمتلقي) [20]، فالجانب الانفعالي جانب مهم في الحياة الإنسانية، يستطيع الشاعر إذا تمكن من الدخول إلى بؤرة عواطف ونوازع وميول، المخاطب من الوصول إلى إقناعه؛ إذ (يستعمل اللوغوس اللغوي في رسالته التواصلية في شكل موجهات وتقنيات حجاجية إقناعيه، أما السامع فيرتبط بالباتوس أو بثنائية الترغيب والترهيب أو بعالم الأهواء والانفعالات، ويعني كل هذا أن الخطاب الحجاجي يثير المستمع بتوظيف الباتوس أو الأهواء، مع مراعاة الحس المشترك أو القيم الثقافية المشتركة)[21].

ويؤكد ميشيل مايير على أهمية الباتوس بالقول: "بأنه ينبغي لأجل إقناع شخص ما إثارة انفعاله أي ميوله وأذواقه ورغباته واعتقاداته واستعداداته" [22]، وتعتبر نوازع النفس والأهواء من أركان هذا الخطاب الأساسية؛ لأن الحجاج يسعى للتأثير في القلب والوجدان والعقل والفعل على حد سواء، وابن زيدون من الشعراء الذين وجهوا عنايتهم الفائقة إلى الجانب الانفعالي والتأثري في المخاطب لتحقيق مهمة إقناع المتلقي بإثارة عواطفه وأحاسيسه، فيولد هذا الانفعال وتلك الإثارة استجابة لدى المتلقي وإحساساً بالتفاعل مع النّص، ومن ذلك قول ابن زيدون:

عَلَيكِ السَلامُ سَلامُ الوَداعِ ❧ وَداعِ هَوىً ماتَ قَبلَ الأَجَل
وَما بِاختِيارٍ تَسَلَّيتُ عَنكِ ❧ وَلَكِنَّني مُكرَهٌ لا بَطَل
وَلَم يَدرِ قَلبِيَ كَيفَ النُزوعُ ❧ إِلى أَن رَأى سيرَةً فَامتَثَل

20 ـ ينظر: الحجاج مفهومه ومجالاته، حافظ إسماعيلي علوي، أربد، عالم الكتب الحديث، الأردن، ص246/1.
21 ـ ينظر: من الحجاج الى البلاغة الجديدة، جميل حمداوي، أفريقيا الشرق،2014، المغرب، ص33.
22 ـ ينظر: الحجاج مفهومه ومجالاته، حافظ إسماعيلي علوي، أربد، عالم الكتب الحديث، الأردن، ص1 /414.

International Journal of Educational Sciences and Arts (IJESA)
Vol. (3), No. (6)
IJESA
June 2024
المجلة الدولية للعلوم التربوية والآداب
الإصدار (3)، العدد (6)

وَلَيــتَ الَّــذي قــادَ عَفــواً إِلَيــكِ ﷺ أَبِيَّ الهَـــوى في عَنـــانِ الغَـــزَل

يُحيـــلُ عُذوبَـــةَ ذاكَ اللَـــمى ﷺ وَيَشـفي مِـنَ السُـقمِ تِلـكَ المُقَـل

يكون الخطاب الشعري أكثر تأثيراً من الناحية النفسية عندما يتمكن من السيطرة على الناحية النفسية للمخاطب هي (روحانية تتلبس بالأوهام والأفهام، دون الأجسام والأجرام) [23].

فهذه الألفاظ السهلة والعبارات المؤثرة التي وظفها الشاعر ابن زيدون تبدو في منتهى الرقة والعذوبة بحيث تستطيع بسحر لطفها أن تلامس وجدان المخاطب، وتتغلل إلى أعماق مشاعره فينقاد طائعاً ويعود تائباً، وهذا الاقتناع هو الهدف الأساس من الخطاب، إذ لا تقتصر أهمية الخطاب على الجانب اللغوي وحده، وإنما تسهم عواملٌ عديدة أخرى في عمليتي الإيصال والاستهواء كالحالة النفسية والعاطفية للمتلقي.

ج ـ الحال الثقافي والفكري:

إنّ الهدف الأساس من أي خطاب موجه هو الإقناع والإفهام، وبالتالي فإن ذلك يتطلب من المتكلّم مراعاة المستوى اللغوي والفكري والثقافي للمخاطب، فلكي يكون الخطاب مقنعاً لا بدّ أن يكون واضحاً قابلاً للفهم، ولا يكون كذلك إلا إذا راعى مدى استيعاب المتلقي للخطاب، وهذا التباين هو الذي يسمح بتداول نمط معين من الأنماط دون غيره، تبعاً لتباين جميع الأفراد الذين يتلقون الثقافة ذاتها(فالعناصر الثقافية داخل الخطابات تحتوي على الهيكل الاجتماعي كالأعراف والتقاليد، والدين، والطقوس، والإيديولوجيات إلى جانب احتوائها على البنية الفكرية التي تؤطر فكر أبنائها) [24] فالشاعر يأخذ بعين الاعتبار البيئة الفكرية والثقافية في إنتاج الخطاب، يقول ابن زيدون مخاطباً ولادة:

كَأَنَّـــكِ نـــاظَرتِ أَهـــلَ الكَـــلامِ ﷺ وَأوتيـــتِ فَهمـــاً بِعلـــمِ الجَـــدَل

فالشاعر هنا يخاطب محبوبته ولادة على وفق ما تحمله من مرجعيات ثقافية واجتماعية وفكرية وكذلك حسب مكانتها في المجتمع؛ فيضمن إيصال خطابه إليها بسهولة كي يحقق الإقناع وهو الهدف المنشود الذي يسعى إليه جاهداً من بداية القصيدة.

23 . ينظر: الحجاج مفهومه ومجالاته، حافظ إسماعيلي علوي، أربد، عالم الكتب الحديث، الأردن، ص453/1.

24 . ينظر: الحجاج مفهومه ومجالاته، حافظ إسماعيلي علوي، أربد، عالم الكتب الحديث، الأردن، ص463/1.

International Journal of Educational Sciences and Arts, London Vol (3), No (6), 2024
https://doi.org/10.59992/IJESA.2024.v3n6p4 E-ISSN 2976-7237

الخاتمة

سعت دراسة قصيدة ابن زيدون:

لَـئِن قَصَّرَـ اليَـأسُ مِنـكِ الأَمَـل ﷺ وَحـــالَ تَجَنّيـــكِ دونَ الحِيَـــل

إلى محاولة إماطة اللثام عن الحجاج العاطفي في الشعر، واستجلاء دور الحجاج بالعاطفة وكشف وظيفته الإقناعية في النّص الشعري، هذه الوظيفة التي ظلت محل شك وريبة عند بعض النقاد كما رأينا، باعتبار أن الشاعر لا يسعى أبداً إلى الاخبار ولا يقصد تقديم معلومات للمتلقي، وإنما ينحسر غرضه في التأثير والإقناع، فالشاعر ابن زيدون في هذا النص موضع الدراسة يسعى إلى التأثير في محبوبته (ولادة) والدفع بها إلى تغيير موقفها السلبي منه وتبني موقف إيجابي من قضيته.

المصادر والمراجع

1. ابن الأثير، ضياء الدين، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، تقديم أحمد حوفي وبدوي طبانة، دار النهضة، مصر، ط2، 1973، ج9، ص17.
2. ابن زيدون، الديوان، ص394، ط1، 1990، حققه وبوّبه وشرحه وضبط بالشكل أبياته، حنّا الفاخوري، دار الجيل، بيروت.
3. أبو بكر العزاوي، "الحجاج والشعر" نحو تحليل حجاجي لنص شعري معاصر، مجلة دراسات الصادرة عن سال، المغرب، العدد السابع، 1992، ص99.
4. أبو بكر العزاوي، اللغة والحجاج، العمدة في الطبع، المغرب، ط1، 2006، ص27.
5. أرسطو، الخطابة، ص82 إلى 134.
6. بلاغة الحجاج الأصول اليونانية، د .الحسين بنو هاشم :ص215.
7. بلاغه المخاطب، البلاغة العربية من انتاج الخطاب السلطوي الى مقاومته، عماد عبد اللطيف (بحث) ص14.
8. بناء المعنى وتجلي الموضوع الجمالي في شعر عبد الله العشي " القارئ الضمني أنموذجاً (بحث) ص235.
9. بنية الخطاب الحجاجي في كليلة ودمنة لابن المقفع، حمدي منصور،33.
10. البيان والتبيين، الجاحظ ،105/1.
11. التلقي وشعر ما قبل الإسلام في العقد الحديث، ص110.

12.حازم القرطاجني، منهاج البلغاء وسراج الأدباء، تقديم محمد حبيب بن خوجة، دار المغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط1981، ص62.
13.الحجاج في الشعر العربي، سامية الدريدي، ص36.
14.الحجاج مفهومه ومجالاته، ص424.
15.الحجاج وبناء الخطاب، أمينة الدهري،20.
16.الخطاب في نهج البلاغة، د. حسين العمري، ص144.
17.سيكولوجية الابداع في الفن والأدب، يوسف ميخائيل اسعد، ص181.
18.ضمن الحجاج مفهومه ومجالاته، ص246/1.
19.فن الخطابة، ترجمة عبد القادر قنيني، ص16.
20.في بلاغة الحجاج، د. محمد مشبال، ص121.
21.قراءة النص وجماليات التلقي، د. محمود عباس عبد الواحد، ص135.
22.محمد العبد، "النص والخطاب والاتصال" الأكاديمية الحديثة للكتاب الجامعي، القاهرة، ط1، ص232.
23.محمد الوالي، في خطابة أرسطو الباتوسية، ص 48.
24.محمد مفتاح دينامية النّص، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب،1987، ص72.
25.من الحجاج الى البلاغة الجديد، د. جميل حمداوي، ص33.